الفصل الخامس

المسيحية إسلاموية

المسيحية لنا

المسيحية لنا نحن المسلمين والمسيحيين العرب، وهي ديانة سماوية انطلقت من أرضنا العربية التي يعتبرها المسلمون والمسيحيون أرضاً مقدسة، ومن هنا انتشرت الى بلدان العالم كله. وعندما تعددت مدارسها ومذاهبها في الغرب بقيت المسيحية العربية محافظة على أصالتها وأصالة عقيدتها. ففي دول الغرب تنشق عن المسيحية كنائس متعددة العقائد والمذاهب، ويجري توظيف المسيحية سياسياً واجتماعياً لتلبي أغراض فئة مستبدة بالقرار.

وقد تعددت المذاهب المسيحية الصهيونية. وأفرزت عقائد صهيونية خالصة. فتم تحويل المسيحية من دين السماحة والمحبة إلى عقيدة إبادة واستبداد. وفي هذا السياق يقوم ساسة الغرب بتوظيف المسيحية لصالح مشاريع عدوانية ضد الشعوب العربية والإسلامية. فقد وظّف جورج بوش المسيحية عندما أعلن بأنّ حربه ضد التطرف الإسلامي هي حرب صليبية. والحقيقة فإن المسيحية بريئة من كلّ تلك الشبهات. فالمسيحية لا تبرر لأحد إعلان حرب صليبية ضد المسلمين. ولا تبرر كافة الحروب العدوانية التي شنّها الغرب ضد المسلمين.

والمسيحية الحقيقية هي بنت الشرق العربي المسلم الذي هو نحن وقيمنا وتاريخنا. المسيحية الثابتة هي المسيحية العربية الملتزمة بالقيم الدينية والإنسانية والحوارية. وهي عقائد المسيحيين العرب الأقباط والمارونيين والآشوريين والكلدان

والغساسنة والمناذرة وغيرهم. أما المسيحية التي يجري توظيفها السياسي في الغرب فتلك هي الخارجة عن المسيحية الدينية الأصيلة وعلينا جميعاً أن نسحب البساط المسيحي الذي يمتطيه ساسة الغرب عنوة ويقومون بتوظيفه. ونعلن بأن المسيحية لنا نحن، ونحن الأجدر برفع الخطاب المسيحي العادل.

قال البابا يوحنا بولس الثاني في حديثه عن التعددية الدينية والمذهبية في لبنان: "**.. هذه التعددية الطائفية في لبنان هي رسالة إنسانية للبنانيين..**" ويهدف البابا إلى توظيف هذه الرسالة الإنسانية لصالح جميع اللبنانيين. وهذا التوظيف لا يمكن أن يكون حرباً صليبية، ولا أن يكون صهينة للمسيحية بل هو تعايش وتحاور بين جميع اللبنانيين.

منذ ظهور الدين الحنيف كان للمسيحيين دوراً في استيعاب الإسلام وتقبله وانتشاره. وقد نظر إليه على أنه المكمل للرسالة الدينية التي أتى بها المسيح عليه السلام، وأنه الدين السماوي المساند للديانة المسيحية التي كانت تواجه خصوماً وتحديات كثيرة من الوثنية والصنمية. وبالفعل فقد ساند الإسلام المسيحيين منذ مراحله الأولى، وانعقد ما يشبه التحالف الإسلامي المسيحي ضد الوثنية والصنمية، وانتصر هذا التحالف عليها انتصاراً سحيقاً ومسحها عن الوجود.

الحديث عن المسيحية يوجب تناول الغرب كمحور أساسي فيها. فالغرب تبنى المسيحية وجعل نفسه وصياً عليها، وهو مازال يحارب باسم الصليبية. يتناول بحثنا هذه الإشكالية ويتوصل في نهايتها إلى نتائج تجرّد الغرب من مسيحيته ومن وصايته المزعومة عليها.

تؤكّد مراجع تاريخ الفكر الفلسفي بأن الدعوة الأخلاقية إنما نشأت في الشرق، وتمتد جذورها البعيدة إلى تراث الشرق القديم، فيما جاءت الفلسفة اليونانية كمسألة سلوكية خالصة. وهذا ما يفسّر استمرار المفهوم الأخلاقي وتوارثه في الشرق كقيم اجتماعية حتى يومنا هذا. فيما استمر هو نفسه في الغرب كمسألة فكرية نظرية خالصة. ولهذه الأسباب يكون الإيمان العقيدي الديني عند أهل الشرق بمن فيهم العرب أقوى منه عند الغربيين وأكثر التصاقاً بالنفس.

المسيحية الإسلاموية

يبين القرآن الكريم لنا جميعاً مسلمين ومسيحيين أهمية المسيح عليه السلام وأهمية الرسالة الدينية المسيحية بالنسبة لنا. فالمسيح وأمه ورسالته وقصص عائلته احتلت في القرآن الكريم مكانة واسعة وأهمية كبيرة. فالقرآن الكريم يخصص سورة كاملة لمريم عليها السلام وهي سورة مريم. فيما لا توجد في القرآن سورة باسم عائشة أو فاطمة.

والقرآن الكريم يذكر اسم المسيح عليه السلام خمساً وعشرين مرة، ولا يذكر اسم محمد عليه السلام سوى خمس مرات. وهذا يعني أن الرسالة الإسلامية بمجملها تهتم بالمسيحية اهتماماً كبيراً للغاية بل وتجعل المسيحية جزءاً من الرسالة الدينية الإسلامية، باعتبار أنّ المسيح كان مسلماً. وتوضح بأن الإسلام هو المكمل والموضح والشارح للديانة الواحدة التي أرسلها الله سبحانه على أنبيائه وعلى عيسى ابن مريم عليه السلام.

ويعتبر الإسلام أيضاً بأن المجتمعات المسيحية ميداناً لنشر الإسلام وتقبّله وفهمه واعتناقه. وإن الخطاب القرآني للمسيحية هو خطاب ودّ وتفهّم ودعوة، وهو أيضاً خطاب احتواء للمؤمنين بالمسيحية، وليس خطاب خصام أو تنافر.

فالإسلام يختلف مع المسيحية الدارجة فيما يخص عقيدة التثليث، لكنه بنفس الوقت يتبنى الرسالة الدينية المسيحية بكاملها تلك التي جاء بها عيسى عليه السلام ويعتبرها جزءاً من رسالة الإسلام التي أنزلها الله سبحانه على عباده.

محمد رسول الله يحب المسيح

يحبّ المسلمون المسيح عليه السلام حباً كبيراً. ويأتي ذلك من حب رسول الله محمد عليه السلام للمسيح ابن مريم. وهذا ما دعانا إليه القرآن الكريم وألزمنا به. فقد كان محمد رسول الله يحب المسيح ويعظّمه، وأنّ المسيح، حسب عقيدتنا الإسلامية، بشّر بأنّه سوف يأتي شخص يسمى (أحمد) يحمل رسالة الله في

الكون، ولذا نحن لا نعتقد أن هناك مشكلة بين محمد(ص) وبين السيد المسيح (ع)، وبالتّالي، فلا مشكلة بين الإسلام والمسيحية، وإنّما هناك اختلاف في فهم بعض الأشياء التي يمكن أن ندير الحوار حولها. والعقيدة الإسلامية تقول أنّنا "**لا نفرق بين أحد من رسله**" (سورة البقرة 285). ولذلك فالدّين لا يفرق بين الرسل وبين المؤمنين بهم، ولكن العصبية المنحازة هي التي تفرق. ومما تقدمّ فإن الإسلام يتبنى نبوة المسيح عليه السلام، ويتبنى الرسالة الدينية التي هي (مسيحية وإسلامية) والتي جاء بها المسيح. ويتبنى المسيحية كلها تلك التي تتوافق مع العقيدة الإسلامية التوحيدية ويجعلها مرحلة سابقة لنزول القرآن الكريم. ومن هنا فالمسيحية لنا وعلينا أن نحافظ عليها ونتبناها كمسلمين ونعمل على تصويب ما نعتبره وفق عقيدتنا خطأ دارج عند المسيحيين وهو الذي يتمثّل بعقيدة التثليث. ثم إن الإسلام الذي يختلف مع المسيحية (التثليثية) ويعتبرها إشراكاً بالله، لاينفيها نفياً تاماً، (أي لا يستبعدها، ولا يسعى لإبادتها) بل يحاورها ويسعى لتصحيح الخطأ الذي يراه فيها. وطوال التاريخ الإسلامي سعى المسلمون لمحاورة المسيحية وتصحيح هذا الخطأ بالطرق السلمية وذلك عملاً بالمنهج القرآني.

المسيحية العربية المحافظة

نسمع كل فترة عن تطرف كنسي وانشقاقات مسيحية تحدث في الغرب، ومن ذلك كانت المسيحية الصهيونية والعلموجيا التي انتشرت مؤخراً. كما شهد التاريخ الغربي انشقاقات مسيحية كثيرة ومنها محاكم التفتيش التي أعدمت العلم في حرق "غاليليه" والتي ارتكبت مجازر إبادة بشعة. وبنفس الوقت لم يشهد التاريخ أية تحولات متطرفة مشابهة لتلك في المسيحية العربية ، ويكمن السرّ في التصاق الأخيرة بالإسلام وباستمدادها منه الرسوخ والثبات والأصالة والمحافظة. فرسوخ القرآن عند المسلمين هو الذي دفع المسيحية العربية للمحافظة على القيم المسيحية الإيمانية الثابتة.

إنّ من أعدم العلم والنظرية العلمية وأحرق مبدعها غاليليه هو الغرب وحده وليس هو المسيحية.

عاشت المسيحية العربية قروناً طويلة في كنف الإسلام وأهله، ولذلك فهي متأثّرة بالإسلام ومتفاعلة معه.وكذلك فهي ليست منفصلة عن الجسد الإسلامي كما يتصور البعض. ففي حفلات تلفزيونية تعرضها فضائية LBC اللبنانية نشاهد مرحاً ورقصاً وثقافة وعادات اجتماعية متنورة تعكس ثقافة وعادات المجتمع المسيحي العربي في أقصى درجات التنوّر والتغريب والعصرنة التي استطاع العرب أن يصلوا اليها. وهي تعكس حالة مجتمع المسيحيين اللبنانيين وهؤلاء بالضبط هم الأكثر تغرباً بين المسيحيين العرب. وفي هذه الحفلات نلمس بوضوح أن أداء التغريب هو ضرب من التمثيل والتقليد ، وهو محاولة لبس ثوب غربي وعادات وثقافة غربية عند هؤلاء المواطنين. ونراهم يؤدون أدوارهم بتثاقل وتصنّع. ويتضح فيهم بأنهم لم ولن يكونوا غربيين حتى لو خرجوا من جلدهم.

ونحن هنا لا ننتقد مواطنينا المسيحيين بل نستدل من خلال أدائهم الاجتماعي العام على أنهم يتّصفون بالشخصية العربية والشرقية والإسلامية التي نتصف بها نحن دون أية فروق.

في الحرب الأخيرة 2006 قصفت الطائرات الاسرائيلية مناطق مسيحية، وفي كل الحروب العربية الإسرائيلية كان المواطنون المسيحيون يشاركون كإخوانهم المسلمين ويذهب منهم شهداء وجرحى. وفي كافة الغزوات التي عرفها التاريخ الإسلامي كان المسيحيون مدافعين عن البلد والوطن ومتحالفين مع أبناء وطنهم المسلمون. هذه البلاد التي يطلق عليها العالم كله تسمية البلاد الإسلامية. وفي العام 2001 وأثر تدمير برجي التجارة العالمي سجلت اعتداءات على مسيحيين مغتربين وكنائس شرقية أقامها لبنانيون مسيحيون في دول الغرب، واتهموا بأنهم مسلمون..!! وفي العصر الحديث يساهم المسيحيون باستمرار وبجدية في تطوير هذه البلدان التي ينتمون إليها في كافة المجالات.

المسيحيون العرب مسلمون

المسيحيون العرب مسلمون بمقاييس كثيرة. فهم عاشوا وتوالدوا وتثقفوا في بيئة إسلامية. وإنّ نتاجاتهم وأهدافهم ونشاطاتهم كلها تخدم المجتمع العربي الذي

هو مسلم عموماً وتدافع عنه وتحافظ عليه وعلى هويته. فهم مقاتلون في الجيوش العربية التي هي تدافع عن بلد إسلامي. وهم الذين اختلطوا بأفراد المجتمع المسلم وتزاوجوا وتوالدوا أبناء مسلمين ومسيحيين. والمسيحية العربية كعقيدة وعبادة وأخلاق تأثرت بالإسلام عبر السنين وتفاعلت مع عقائده. فحافظت على عقائد وشرائع دينية ثابتة، ويأتي ثباتها من ثبات الإسلام نفسه ومن مجاراتها للإسلام وللمسلمين. فلم نرَ مسيحية عربية صهيونية ولم نرَ مسيحية سينولوجية بل نرى باستمرار مسيحية ثابتة محافظة تتميز عن كافة المدارس المسيحية الغربية التي انشقت عنها.

كما حافظت الكنيسة العربية وحافظ رجال الدين المسيحيون العرب على قيم المسيحية بقوة وعناد طوال القرون الماضية وهذه المحافظة والأصالة تأتي من ملاصقتهم للإسلام. فقد واجهت المسيحية العربية محاولات كثيرة كانت تأتي من الغرب المسيحي وتهدف لإخضاعها وأحياناً القضاء عليها وبعثرتها، فاحتملت كلّ تلك المصاعب واستطاعت التغلب عليها وحافظت على بقائها، وقد دفعت أثماناً باهظة في تلك المواجهات.

كما شهد التاريخ انتقالات كثيرة بين المسيحية والإسلام، وهذه الانتقالات خلطت بين العقائد الدينية عند بعض المسلمين والمسيحيين. فرأينا أخوة في أسرة واحدة بينهم إسلام ومسيحيون. ومن هذه المقاييس نرى بأنّ المسيحية العربية ومن في حكمهما هي جزء من الكيان الإسلامي العام. وبنفس الوقت فليس المسيحيون العرب مسلمين بمقياس نطق الشهادة الإسلامية وبأداء الصلوات الخمس والصيام والحج الإسلامي، ويجدر بنا ألاّ نحاكمهم وفق هذه الشروط بعينها وألاّ نطالبهم بالتقيد بها لنحكم على أساسها بأنهم مسلمون أم غير مسلمين.

من المسلمين أشخاص يتبعون مذاهب فكرية أو دينية أو ينتمون لجماعات دينية كالجماعات الإسلامية التقليدية المنتشرة في الولايات المتحدة أو كبعض الجماعات أو الفئات الإسلامية المنتشرة في الهند وأندونيسيا والصين وغيرها. وينتمي إلى هؤلاء الذين نشير إليهم أشخاص أسلموا حديثاً في الغرب وغيره من دول العالم.

وبالتحقيق في عقائد هؤلاء جميعاً نكتشف اختلاف عقائدهم الفكرية عن النهجين السني والشيعي ورغم ذلك فهم مسلمون ونحن نعتبرهم سنة وشيعة مسلمين وهم في حقيقتهم مسلمون. ولا يحق لأحد منا أن ينكر إسلامهم.

بمقارنة سريعة بين المسيحيين العرب وبين أتباع طرق من هؤلاء المسلمين نكتشف في بعض الحالات بأن هؤلاء المسيحيين يحملون عناصر تجعلهم مسلمين أكثر من بعض أتباع الطرق أولئك الذين نعتبرهم مسلمين والذين هم مسلمون حقاً.

العائلة المسيحية المسلمة

في كافة البلدان العربية والإسلامية تقريباً سنجد عائلات تحوي أفراداً مسلمين ومسيحيين هم أخوة حقيقيون أو أقرباء أو ينتسبون إلى أجداد وأسرة واحدة قديمة. وهذه العائلات دليل أكيد على وحدة أتباع الديانتين. ففي لبنان وسورية وتركيا تكثر هذه الظاهرة ويكثر الأقرباء المنتمون للديانتين.

في تركيا تحوّل قسم كبير من الأرمن المسيحيين إلى الدين الإسلامي في عهد الحكم العثماني الذي فرض اعتناق الإسلام على الأرمن كما يقال. وانحدر عن أولئك الأرمن أبناء وأحفاد ينتمون اليوم إلى جد واحد وهم اليوم يتوزعون بين الإسلام والمسيحية. ومنهم شبّان مسلمون يتحاورون مع أعمامهم وأخوالهم المسيحيين. ونقلت الأخبار عن عودة عدد من أحفاد الأرمن إلى المسيحية. مما يجعل الأسرة الواحدة تحوي الديانتين في هذا العصر أيضاً.

وفي زمن الحكم العثماني أيضاً تحول إلى الإسلام قسم كبير من مسيحيي لبنان وهم اليوم ينتمون إلى عائلات معروفة وشهيرة. ونرى في نفس العائلة مسلمين ومسيحيين. ويصل عدد هؤلاء إلى مئات الألوف. ففي البقاع اللبناني مثلاً نجد عائلة فرعون التي هي عائلة واحدة ويبلغ تعدادها عشرات الآلاف، ونكتشف بأن نصفهم مسيحيون والنصف الآخر مسلمون. وتسير العلاقة بين أفراد هذه العائلة بالشكل الطبيعي للغاية وكأنهم ينتمون لدين واحد. وفي لبنان أيضاً يذكر بأن مرشحاً مسيحياً فاز بعضوية المجلس النيابي بنسبة 40 ٪ من الأصوات حصل عليها في

مناطق يسكنها مسلمون.

وفي زمن الانتداب الفرنسي وبضغوط استعمارية خبيثة تم تحويل الآلاف من مسلمي قرى الساحل السوري وقرى حمص إلى المسيحية. ولأنه لم يتم تحويل كافة أفراد العائلة الواحدة في ذلك الوقت فقد وجدنا فيهم أخوة ينتمون إلى الديانتين. ومع الزوال السريع للاستعمار الفرنسي رجع قسم من أولئك إلى إسلامهم ومذهبهم. فرأينا انشقاقات جديدة في الأسر الأحدث ورأينا داخل الأسرة الحديثة ديانتين سماويتين. وبفضل حداثة سورية منذ السبعينيات رأينا عودة لقسم جديد من أولئك المسيحيين إلى إسلامهم. ورأينا أيضاً ديانتين داخل الأسرة الواحدة. واليوم وفي القرن الحادي والعشرون أتحدث مع أحد سكان تلك القرى فيقول لي بوضوح: أنا مسلم ومسيحي !! والله لا أعرف كلنا نعبد الله. ابني أراد أن يكون مسيحياً وأنا عدت إلى الإسلام.

يستطيع قارئ ما أن ينظر إلى تلك الظاهرة بتطرف ويقف معادياً لتلك الحالات ولكاتب هذا البحث. فيما يستطيع آخر أكثر تحضراً أن يستفيد من تلك الظاهرة ويجعلها أحد مستلزمات التحاور والتحالف بين المسيحيين والمسلمين.

تلك الظاهرة تدلّ أيضاً على إمكانية التعايش الطبيعي المستقر والمتحد بين المسلمين والمسيحيين وتدل على أن المسيحية العربية هي جزء أساسي من الكيان الإسلامي العام. بل إنها متداخلة في هذا الكيان تداخلاً تاماً. وعلى هذا الأساس يصبح الحفاظ على المسيحية العربية جزء من الحفاظ على الكيان الإسلامي كله.

وفي زمننا هذا، ومع تطور المجتمع العربي، وفي سورية ولبنان تطورت الرابطة الاجتماعية بين المسلمين والمسيحيين وأصبح التزاوج بين الفريقين أمراً مألوفاً وشبه عادي. ولم يعد المسيحيون يحرّمون على بناتهم التزوج من مسلمين بنفس الشدّة القديمة. الأمر الذي زاد من ظاهرة التزاوج بين المسلمين والمسيحيين. ورأى النور جيل جديد يجمع بالقرابة أفراداً مسلمين ومسيحيين. وقد لاحظ الإعلام الغربي قوة ظاهرة التعايش المسيحي الإسلامي في سورية، فأجرى مراسل إذاعة لندن حوارات مع شباب في جامعة دمشق بتاريخ 15 شباط 2007 وحصد قصص حب كثيرة بين مسلمين ومسيحيات وتحدث هؤلاء بصراحة للمراسل وأظهروا بأن الديانتين لا

تدعوان للتفرقة بل للتحابب والتعايش وبأن الدين لا يمكن أن يكون عقبة في وجه أي مشروع حب أو زواج.

يمكننا القول بأن الرغبة في التحالف الإسلامي المسيحي موجودة عند الأفراد ولايعيقها إلا القوانين الحكومية في بعض البلدان. ويمكن للمؤسسات الحاكمة أن تنجح إن هي رغبت بأن تعقد تلك التحالفات بين مواطنيها. نلاحظ أن وعي الرئيس السوري لمبدأ الحوار والتعايش الإسلامي المسيحي كان له تأثير كبير على المجتمع السوري بأكمله. فصحيح أن التعايش الإسلامي المسيحي عمره خمسة عشر قرناً في سورية. لكن ما يميز هذه السنوات هو الاندفاع والإقبال على التحاور مع الآخر والمبادرة في تقبله. فالمشاريع الحكومية الكثيرة كان الغرض منها تعميق هذا التعايش والتحاور والتآلف الأمر الذي انعكس على الأفراد بسرعة كبيرة. فظهرت في سورية حكمة دينية وسياسية لم يتصل الغرب إليها حتى اليوم. فقد زار سورية الدكتور روان ويليامز رئيس الأساقفة الأنكليكان الذي يتبع كنيسته أكثر من 77 مليون مسيحي واجتمع بالرئيس السوري وبرجال دين مسلمين ومسيحيين وعبّر لهم عن إعجابه بالتعايش الإسلامي المسيحي في سورية وبعد عودته إلى بريطانيا صرّح بأن المجتمع البريطاني بحاجة ماسّة لاستعارة قواعد وقوانين من الشريعة الإسلامية ولتطبيقها في بريطانيا. ومن الجائز أن يكون القس البريطاني قد تأثّر بما رآه في سورية وتتلمذ على أيدي السوريين الداعين للسلام بين الشعوب.

الخلاف الإسلامي المسيحي صناعة غربية

العقائد التي هي من أصل إسلامي والتي يعتقد بها المسيحيون ويعتبرونها اليوم جزءاً لا يتجزأ من المسيحية هذه المعتقدات كثيرة جداً، ويتعذر إحصاؤها، ونعتقد بأنها تشكل القسم الأكبر من المعتقدات المسيحية. بنحو 80 ٪ . أي أننا لو قمنا بعمل جبّار وعسير وحاولنا فيه نزع كافة العناصر العقيدية التي هي من أصل إسلامي عند المسيحيين المعاصرين لبقي لدينا قسم قليل يحوي شروحاً وتفاسير للأناجيل وتأريخاً لها ولحياة المسيح عليه السلام ورسله. إضافة للعقائد المسيحية القليلة وللطقوس وشروحها وأدائها.

وفي الوقت نفسه علينا أن نأخذ بالحسبان بأن المسلمين عملوا عبر القرون الماضية على الاجتهاد بتحليل العقائد الإسلامية وبوضع أحكام كثيرة للجزئيات الصغيرة والنادرة الحدوث، فأنتجوا بذلك آلاف الكتب والأحكام والتدبيرات التي ألحقت كلها بالنتاج الإسلامي وأصبحت بالنسبة لنا نحن المسلمون جزء كبير ومهم من الفكر الإسلامي. (ومن الأمثلة على تلك الأبحاث مسألة الحكم في زوجة المسلم المأسور والمستعبد عند الفرنجة) وبما أن هذه النتاجات كلها لم تكن موجودة في زمن الرسول الكريم محمد عليه السلام فيمكن اعتبارها من الاجتهادات غير الملزمة للمسلمين، وإن أجرينا مقارنة بين الإسلام الأول الذي لايحوي كافة النتاجات التي ظهرت في العصور الإسلامية المتقدمة مع المسيحية ونتاجاتها فإننا سنجد بينهما تقارب كبير.

وفي زمن الرسول الكريم لم يكن هناك خلاف واختلاف بين المسيحية والإسلام كما هو في الصورة التي عرفها التاريخ في العصور اللاحقة. فالمسيحيون العرب رحّبوا بالإسلام، ورحّب الإسلام بحرية عقيدتهم، وتعايش المسلمون والمسيحيون في البلدان العربية متفقين ومتآخين. لكن أول خلاف ظهر من جهة الرومان الذين هم في طبيعتهم كانوا محتلين لهذه البلدان ومستعبدين لأهلها. فقاموا بمعاداة المسلمين وبأسر مواطنيهم.

في العصر الإسلامي الأول استبشر المسيحيون بالإسلام واعتبروه منقذاً لهم من ربقة الغزاة الروم وصوتاً دينياً مؤازراً للدعوة المسيحية بل ومرافقاً ومعززاً لها. واعتبر الإسلام أيضاً متمماً للدعوة الدينية وللرسالة التي جاء بها المسيح. ولم تجد المسيحية مشكلة في الإسلام كله، ولا في الانتماء إليه. وهذا ما يفسّر الانتقال الكبير لمسيحيين عرب إلى الإسلام في وقت قصير واعتناق الدين الجديد.

لكن في العصور اللاحقة وبفعل الرومان تمّت صياغة أسس مسيحية جديدة كان الهدف من هذه الأسس أن تعادي وتتعارض مع الإسلام والمسلمين. ومنذ ذلك العصر تمّ تسييس المسيحية من دين وعقيدة إلى فكر هو مواجهة للشعوب العربية والإسلامية. يسعى ليعيق أي تفاهم بين أتباع الديانتين. ورغم ذلك استمر الحوار بين الطرفين ومازالت المسيحية تتفق مع الإسلام في نقاط كثيرة. ومازال بين المسيحيين مؤمنين أتقياء يمتنعون عن تسييس الديانة السماوية. ومن الملاحظ أيضاً أن المسيحية

العربية بكافة أطيافها بقيت الأبعد عن ذلك التسييس والأقرب للحوار والتعايش مع الإسلام.

وبمحاولة التحقيق في جوهر الخلاف بين المشرق العربي المسلم والغرب المسيحي، نكتشف بأنه خلاف يصدر من جانب واحد وهو الجانب الغربي. وهو في جوهره خلاف قومي وعرقي وصراع على النفوذ والسيطرة، وليس على الإطلاق خلاف ديني.

والدليل الأول على ذلك هو أنّ الغرب ممثلاً بالروم كان قد غزا هذه البلدان وتطلّع لبسط نفوذه عليها قبل اعتناقه المسيحية وقبل ظهور الإسلام.

والدليل الثاني هو عدم وجود أي خلاف أو صراع بين المشرق المسلم بكامله وبين مسيحييه، بل وحلول التلاؤم الدائم والمستمر بينهم هذا التلاؤم هو الذي حافظ على استمرار الوجود المسيحي الآمن في هذه البلدان الإسلامية.

المسيحية العربية تحالف دائم مع الإسلام

طوال الحقب التاريخية لم تتحالف المسيحية العربية تحالفاً حقيقياً مع الغرب المسيحي ضد الإسلام. بل استمرت في مواقفها المتحالفة مع الإسلام. وظلت تتحالف مع وطنها ومع شعبها ومع الأمة العربية والهوية العربية. ومع الشعوب العربية التي هي إسلامية. ولمَ لا ؟ فهي جزء من تكوين هذه الشعوب.

وبنفس الوقت فالغربيون لم يتحالفوا من جهتهم في أي يوم مع المسيحية العربية. وهم في هذا العصر يعتبرونها جزء من الفضاء الإسلامي. فالانتداب والاستعمار الغربي في القرن الماضي لم يسلّط المسيحية العربية على الشعوب المسلمة، ولم يحاول التقرب منها أو استمالتها، أو تمييزها. ولم يسعَ لذلك.

وفي هذه السنوات لم يتحالف الغرب الغازي للعراق مع المسيحية العراقية ولم يسعَ أيضاً للتحالف معها ولا لحمايتها، ولا حتى لمؤازرتها وإنقاذها من القتل والترحيل. وبنفس الوقت فلم يسعَ المسيحيون العراقيون للتحاف مع الغرب المستعمر، بل اعتبرته عدواً لدوداً لا أخاً في الدين. وفي هذا السياق يمكن اعتبار المسيحية العربية إسلامية.

انطلاقاً من المفهوم الغربي السائد عن المسيحية، ذلك المتأثر باليهودية والمادية والحلولية، فإن نظرة الغرب للمسيحيين العرب تنحصر في رؤيتهم مسلمين ووثنيين وكافرين بالمسيحية، ولهذه الأسباب فالغرب يعجز عن تفهم المسيحية العربية المحافظة، وبالتالي يصرّ على أن يعاديها، بل إنه يمتك رغبة باستئصالها وبترها، وهذه الأسباب فلم يستطع الغرب طوال عشرين قرناً أن يتحالف مع المسيحية المحافظة.

الوجود المسيحي العربي

الوجود المسيحي العربي حالة قائمة وإيجابية ووجودها ضرورة للأمة العربية والإسلامية برمّتها. بل لو أننا تصوّرنا مجتمعاتنا تخلوا من المسيحيين لوجدنا أنفسنا آنذاك في أزمة وفي مشكلة رهيبة.! فلماذا توصّلنا إلى هذا الرأي الذي سيدهش الكثيرين.؟ ولو أننا أخذنا به فسنصل إلى نتائج أخرى كثيرة تتعلق به ومن أهمها عدم وجود ضرورة تتمثل بحرص المسلمين على أسلمة المسيحيين العرب.

ولنتبيّن جوانب هذا الطرح للموضوع :

الوجود المسيحي العربي القائم بالفعل هو دليل ثابت للبشرية كلها وبرهان أكيد على أمرين مهمين، أولهما تسامح الإسلام الحقيقي مع المسيحية، والثاني تسامح المسلمين مع المسيحية. وهذا الوجود الحقيقي يسكت كافة الادعاءات الطائفية الكاذبة التي يطلقها بعض الغربيين في كل حين. والتي تزعم بوجود ظلم وقهر وحصار للمسيحية العربية وتدعو لإنقاذها من ظلم المسلمين المزعوم.

الوجود المسيحي العربي ورغم أنّ الدين الإسلامي يختلف معه بعقيدة التثليث المسيحي، فهو وجود إيماني وعبادوي حقيقي. وهذا الوجود المرافق للوجود الديني الإسلامي الذي هو أيضاً عبادوي حقيقي، يشكّل كياناً واحداً متفقاً على هذه الجوانب. وهذا الكيان متميز عالمياً وقد لا نجد مثيلاً له في العالم الغربي كله. فالكنيسة البابوية نفسها وبسبب الضغوط والتأثيرات التي تمارس عليها من قبل الحكّام الغربيين والمنظمات الصهيونية لم تعد حالة إيمانية خالصة، مما يجعل المسيحية العربية أجدر من البابوية نفسها بحمل الرسالة المسيحية للبشرية وبتصويب

أخطاء التشكيلات المسيحية الغربية المتعددة والمخربة للفكر المسيحي.

ظهرت في الغرب مدارس فكرية دينية مسيحية كثيرة، كان من نتائجها تخريب الفكر الديني المسيحي وصهينته أحياناً وتهويده أحياناً أخرى، وأنتجت هذا الفرد الغربي الذي نراه يقتل بعمل إبادة، أسرة عراقية بريئة ويغتصب الفتيات أمام أعين أسرتهم. ويفتك بالأطفال الرضع. وما هذا إلاّ واحد من صور التمرد والتشرد الفكري والتأنث والمثلية الجنسية وغيرها من آفات المجتمع الغربي، تلك الآفات التي رأت بعض الكنائس الغربية تبريرات دينية مسيحية لها. فيقوم قس الكنيسة وباسم العقيدة المسيحية بعقد قران لرجل يتزوج من رجل آخر.!!. ذلك التشرد الفكري المسيحي في الغرب يواجهه على النقيض منه تماماً مسيحية إيمانية عربية ثابتة وراسخة وصادقة. وهذه المسيحية العربية حالة يجب أن تثبت وتستمر لأننا بدونها لا نستطيع أن نحمل رسالة مسيحية للغرب. صحيح أنّ المسلمين سيقولون بأننا سنحمل الإسلام للغرب وسيكون هو الحل الديني لآفات ذلك المجتمع، وصحيح أن المسيحية العربية هي عامل مهم مساعد ومساند لنا حتى في نقل رسالة الإسلام إلى المجتمع الغربي.

وبناء على ما تقدم تصبح كافة أعمال المتطرفين المعادية للمسيحية العربية خاطئة إلى درجة الفداحة وتدمير الذات العربية الإسلامية نفسها. ففي العراق يقوم المتطرفون بمحاولة إجلاء كامل للمسيحية، وتشير الوقائع إلى أنّ أكثر من 50 ٪ من مسيحيي العراق قد غادروه بالفعل. بل إنّ المسيحية الآشورية تكاد تختفي من العراق كله.

هذه المحاولة ليست سوى تدمير للمجتمعات العربية والإسلامية نفسها. ولعلّ المتطرفين الطائشين الذين يقومون بها لم يدركوا دروس التاريخ ولا حتى دروس القرآن الكريم الذي هو دستور المسلمين جميعاً.

الكنيسة السورية للجميع

فيما نسمع عن بيع كنائس في أوروبا وعن تحويل أخرى إلى متاحف ومنشآت

متعددة الأغراض، فإن السوريين يقومون بترميم الكنائس القديمة والمهدّم بعضها، وتحويلها إلى صرح حديثة ومعابد للمسيحية.

أنشئت في سورية أقدم الكنائس التي عرفتها المسيحية. وكانت سورية منطلق المسيحية وطريقها نحو أوروبا وبالتالي نحو العالمية. وفيما كانت المسيحية تزحف جغرافياً اعتنقها سكان سورية آنذاك، فاعتنقها المارون والآشور والكلدان والغساسنة وحافظوا حتى يومنا هذا على عقيدتهم الثابتة. وفي شمال دمشق قرى صغيرة حافظت على تقاليدها المسيحية القديمة بثبات كبير ومنها صيدنايا ومعلولا اللتان مازال أهلها يتقنون ويتحدثون باللغة السريالية القديمة وتلك هي لغة المسيح ولغة تلامذته ولغة بعض الأناجيل ولغة التراتيل الكنسية حتى يومنا هذا. وثمّة قرية ملاصقة لها وهي جبعدين التي اعتنق أهلها الإسلام وحافظوا على تعاليمه كلها وبنفس الوقت فهم ما يزالون يتحدثون في حياتهم اليومية بلغة المسيح القديمة وهي السريالية. إنهم ورغم إسلامهم لا يجدون مانعاً من التعامل بالسريالية. وبعبارة أخرى: فهم رغم لسانهم المسيحي السرياني يعتنقون الإسلام ويعتزّون به. فقد استطاعوا أن يوفقوا بين السريالية التي هي لغة دينية مسيحية، والعربية التي هي لغة القرآن الكريم. ومن الملاحظ أن من يسكن في قريتهم يتعلم السريالية ويتعامل بها معهم. هذا التفهم والتلاؤم الذي اقتنعوا به يجعلهم مزيجاً من نوع نادر يجدر الانتباه إليه وأخذ العبر منه. كما ندعو لتعزيز هذه الظاهرة وللمحافظة عليها.

في العام 2007 أنشئت أول كنيسة في ضاحية دمر الجديدة التابعة لدمشق، فنتج عن ذلك أن أسعار الشقق السكنية المحيطة بهذا الصرح الجديد ارتفعت عن مثيلاتها البعيدة عن الكنيسة بنسبة الضعف. ما يعني أن السكان عموماً يرتاحون بشدة لهذا البناء وللتواجد المسيحي الجديد في هذا الحي. ونحن نرى ضرورة تعزيز تلك الظاهرة ومتابعة بناء الكنائس في مناطق أخرى بحيث لا تخلو ضاحية سكنية أو حي من وجود كنيسة. فالتواجد الكنسي يعزز التحالف المواطنيّ ويزيد الألفة والمحبة والتعامل بين السكان مسلمين ومسيحيين.

من الجائز اليوم أن نجد مسلماً يخبرنا بأنه لم يتعامل طوال حياته ولم يتحاور مع مسيحي. هذا البعد النادر الوجود يجب أن نلغيه وأن نجعل الجميع يتحاورون

ويتعارفون ويتآلفون. وبهذه الطريقة نقضي نهائياً على ظاهرة قديمة تدلّ على الخوف من الآخر وتلك هي ظاهرة الانعزال المكاني عند المسيحيين وأتباع المذاهب الإسلامية القليلة العدد. ففي دمشق مثلاً حارة الجورة التي يسكنها مسلمون شيعة. وحي قديم آخر كان يسكنه المسيحيون. وهناك أيضاً حارة الأكراد السنّة الذين انعزلوا فيما مضى على أسس قومية.

اختلفت الصورة اليوم وانتشر المواطنون أينما شاؤوا دون النظر إلى تلك الأسس القديمة.

دير للمسيحيين والمسلمين

القديس موسى الحبشي إثيوبياً كان يعيش منعزلاً في مغارة في القرن السادس الميلادي، ابن أحد الملوك. وهذا الابن كان قد رفض أن يلبسَ تاجَ المُلْك والتمس، عِوَضاً عن ذلك، الطريقَ إلى مملكة الرب، ثم مات شهيداً. وبعد وفاته أسس الرهبان ديرَ مار موسى باسمه على شكل كنيسة صغيرة، ويعيشُ اليومَ في دير مار موسى ثمانية رهبان من الرجال والنساء وكلهم في سن الثلاثين تقريباً. وقد يكون هذا الدير هو الوحيد في العالم من نوعه، حيث يصلي ويعمل فيه الرجال والنساء سوياً، ولكنهم يسكنون منفصلين عن بعضهم. وتعتبر الحياة في الدير بسيطة للغاية، حيث أنهم اختاروا عيشة الفقر لأنفسهم ولَبسوا ملابس الرهبان القطنية الغامقة اللون. وهم يمارسون الفلاحة ويربون الماعز والنحل، وعندهم في الدير أيضا كمبيوتر وموقع الكتروني. وتسري الأمور في الدير على نمط مختلف، فحسبما يقول الأخ فريدرك الفرنسي، الذي يعيش في الدير منذ عام: "إن علاقتنا بالفاتيكان كانت صعبة إلى حدٍّ ما". وذلك لا يعود إلى المعيشة المختلطة بين الرجال والنساء، بل يعود إلى اعترافِ الرهبان والراهبات بالإسلام كدينٍ مساوٍ للمسيحية. وإن المسلمين والمسيحيين يعيشون سوياً في سورية منذ مئات السنين في سلام، ورهبان دير مار موسى يحرصون على تواصل وتعميق هذا التعايش. وطبقاً لما يقول أحد الرهبان:

أن الدير أصبح إحدى الأماكن التي يقصدها الكثير من السوريين ينتمون

إلى مذاهب عديدة للتّنَزّه في نهاية الأسبوع".

ويقول فريدرك: *"إن ضيافة الغرباء تعادل ضيافة السيد المسيح". وهذا لا يَمُتّ للتبشير بأية صِلة، فغالبا ما يأتي المسلمون للاستمتاع بالنظر إلى النقوش على الجدران، وأحيانا يؤدّون صلاةً جماعيةً."إن روحانياتنا المشتركة تعتمد على بساطة الحياة والسلام والاعتراف بالإسلام والمسيحية كديانات سماوية، وإن تعدد الأديان هو سر من أسرار البشرية".* والرهبان على صلة دائمة بالفقهاء المسلمين والقساوسة والمفكرين، حيث ينظمون معهم حلقات حول المسائل الدينية والاجتماعية والسياسية. وقد اهتم دير مار موسى بالمسيحيين السوريين الذين يهاجرون إلى الخارج، وهو يسعى لتثبيت إقامتهم في بلدانهم الأصلية حفاظاً على الوجود المسيحي العربي، ويقول الراهب فريدرك في هذا الشأن:

"لقد أدركنا أن تعددية المذاهب في سورية أصبحت مهددة بسبب هجرة الأقليات". وتُمَارَسُ الطقوس الدينية في الدير على الطريقة السريانية وباللغة العربية، على الرغم من أن الرهبان والراهبات من جنسيات إيطالية وسويسرية وفرنسية وسورية.

والرهبان السوريون يدْعُون الأهالي مسلمين ومسيحيين إلى التردد على الدير باستمرار، وقد بدأ دير مار موسى بالاهتمام بالمسائل الاجتماعية في المناطق المحيطة به.

ومن عادة سكان بلاد الشام وخاصة في سورية ولبنان أن يزور المسلمين الكنائس المسيحية وخاصة القديمة منها. فدير صيدنايا المسيحي يبلغ عدد زواره المسلمين حوالي 50 ٪ من مجموع زواره كل سنة. ويقيم فيه المسلمون أحياناً، ويأتون بالهدايا والهبات ويتناولون الأطعمة والوجبات مثل نظرائهم المسيحيين.

صلاة إسلامية في كنيسة

يروي الدكتور النفيسي قصة واقعية تدل على تجاوب المسيحية الغربية مع مفاهيم الإسلام. وتحمل هذه القصة الحقيقية معاني كثيرة يتعين علينا الاستفادة منها، ويقول: "حين كنت طالباً في جامعة كمبرج كان يدرس معي أيضاً مجموعة

من الطلبة المسلمين، ولم يكن لنا مكان نصلي فيه جماعة، رحنا نبحث عن مكان لأداء الصلاة، وعلى الأقل صلاة الجمعة. اتصلنا بإدارة الجامعة فحوّلونا على المجلس البلدي للمدينة، ذهبنا إلى المجلس البلدي، فقالوا لنا: لا يوجد عندنا أماكن للعبادة سوى الكنيسة، بإمكانكم أن تتحدثوا مع المسؤولين فيها لاداء صلاتكم. ذهبنا، وتحدثنا معهم، وقلنا لهم نحن مسلمون ونريد أن نصلي يوم الجمعة في بهو الكنيسة، وطبعاً صلاتنا يسبقها أذان يجب أن يرفع عند باب الكنيسة، ثم فيها خطبة يجب أن تلقى قبل الصلاة. وافقوا على ذلك، وقالوا نوافق شرط أن تتركوا كل شيء في الكنيسة على ما هو عليه. فقلنا لهم: لا". هذا لا يمكن، هذا يتعارض مع عبادتنا، لايمكن أن نصلي أمام تماثيل وصلبان قائمة في الكنيسة، أصررنا على موقفنا. فحضر القسّ، وتحدثنا معه وبيّنا له ما نريد وطال الحديث مع القسّ، وتحولت الجلسة الى جلسة دعوة الرجل إلى الإسلام، لا جلسة إقناعه بالصلاة في الكنيسة على النحو الذي نريد. وهناك شعرنا بالعزّة، هذا الإحساس نتيجة إصرارنا على مبادئنا وثوابتنا.

وما كان من الرجل في نهاية الجلسة إلا أن أبدى إعجابه الشديد بنا، حينما رآنا شباباً متحمسين لديننا، متمكسين بأصول عباداتنا. ووافق على أن تكون الكنيسة تحت تصرفنا من العاشرة حتى الثالثة بعد الظهر من كل يوم جمعة. وباستمرار نشأت بيننا وبين أبناء المنطقة المسيحيين علاقات حميمة، وكانوا يحترموننا كثيراً، وقالوا لنا لقد تغيرت الصورة التي في ذهننا عن الإسلام والمسلمين. وكنا طوال المدة نستلم الكنيسة منهم نظيفة ونسلمها لهم أنظف، وهكذا كبرنا في أعينهم." تفيدنا هذه القصة بأن الكنيسة كعقيدة وعبادة ورؤية دينية تتفق مع المسلمين بوصفهم المؤمنين العابدين الموحدين. وبأن رؤيتهم للكنيسة كمكان عبادة وتوحيد وتوحّد بين يدي الله سبحانه، هذه الرؤية جعلوها تتفق مع العبادة الإسلامية. وبتوظيف الكنيسة للصلاة الإسلامية جعلوها مكان عبادة خالصاً لله بغضّ النظر عن نوع الاعتقاد الديني. فكان رأي القس حسب تصورنا يعني أنّ(الكنيسة مكان لعبادة الله، وهؤلاء يعبدون الله، فليعبدون الله بالشكل وبالطريقة التي يريدون في مكان العبادة) ولاشك بأنه أخذ بعين الاعتبار بأنهم أبناء

الشرق الذي نزلت فيه الأديان السماوية الثلاث، وبأنهم أجدر من الأمريكيين (آنذاك) بمعرفة وفهم الأديان والعبادة. فجعل منهم شباباً عارفين وشارحين للأديان وناقلين له مفاهيم الأديان أكثر من كونهم شباب يسعون للحصول على مكان للصلاة. وفي هذه الحادثة يتّضح لنا بأن القس الأمريكي يكتشف بأن الأديان السماوية هي من منهل واحد وبأن المسيحية والإسلام عقيدتان تختلفان بالشكل لتؤدي غرضاً واحداً وتصلان إلى الله سبحانه. ومن هنا كان سماحه لهم بجعل الكنيسة المسيحية مسجداً إسلامياً أيضاً.

الصلاة بالنسبة للمسلمين ممكن أن تقام في أي مبنى أو أي مكان، وبذلك فهي ممكنة حقاً في كنيسة، وإن إقامة صلوات إسلامية في كنيسة تعمّق روح التفاهم والتحالف بين المسلمين والمسيحيين، ومن هنا ندعو إلى إقامة صلوات مشتركة في كنائس ومساجد ولابدّ أن ينظمها أصحاب الشأن ورجال الدين من المسلمين والمسيحيين. ومثل هذه الدعوة تصبح واجباً اجتماعياً ووطنياً لأن أفراد المجتمع بحاجة لنشاطات تعمّق تحالفهم، وهذا التحالف يحدّ من الطائفية البغيضة.

صلاة مسيحية في الجامع الأموي

في العام 2001 قام البابا يوحنا بولوس الثاني بالحجيج إلى الأماكن التي مرّت بها المسيحية، فزار الجامع الأموي بدمشق، وفي هذه الزيارة أصبح الجامع الأموي مكان عبادة مشترك للمسيحيين والمسلمين، حيث أدى البابا وتلامذته الصلوات المسيحية، وأدى المسلمون الصلاة الإسلامية. واستمع البابا إلى تلاوات من آيات القرآن الكريم، حيث قرئت سورة مريم. ولربما كانت تلك أول صلوات مشتركة يحضرها ويقيمها مسلمون ومسيحيون على هذا المستوى العالمي. والحقيقة أن كل ذلك الحدث كان كبيراً وله وقع عالمي كبير. ويعبّر عن سعي الطرفين الإسلامي والمسيحي للحوار والتفاهم والتعاون. وقد حضر تلك الصلوات الرئيس السوري بشار الأسد، وكان له فضل كبير في تحقيق ذلك اللقاء، إذ ليس من السهل أن يجرؤ حاكم دولة إسلامية أخرى على جمع مسلمين ومسيحيين في مسجد كبير وعلى إقامة صلوات مشتركة وأداء تسابيح وترانيم دينية إسلامية ومسيحية. وقام رئيس سوريا بشار الأسد بدعوة البابا لزيارة ضريح صلاح الدين، لكن البابا رفض زيارة الضريح. ورغم الإيجابيات الكبيرة التي عبّرت عنها تلك الزيارة البابوية

للجامع الأموي ، فإن بعض المنتقدين من المسلمين نظروا إلى الجانب السلبي فيها وهو رفض البابا لزيارة ضريح صلاح الدين. فقد اعتبر الدكتور محمد عمارة ذلك بأنه رفض البابا من الاعتذار للمسلمين عن الحروب الصليبية كلها وعن البدء في مرحلة تفاهم جديد بين المسلمين والمسيحيين. أي أن هؤلاء المنتقدين ومن بينهم محمد عمارة كانوا يريدون أن يتخلّى البابا عن كلّ هويته بلحظة واحدة وأن يمنح المسلمين ما لم يستطع الغرب منحهم إياه طوال قرون طويلة. وأن يتحقق التفاهم الإسلامي المسيحي الكامل في تلك اللحظة، لقد كانت تلك الزيارة خطوة كبيرة في طريق التفاهم والتصالح لكنها لم تكن مشروعاً تصالحياً كاملاً.

المسيح رسول السلام والغزاة رسل الصهيونية

يعتقد المسيحيون بأنّ المسيح رسول سلام إلى البشر كافة. ويؤمن المسلمون أيضاً بأنّ السيد المسيح جاء بالسلام على الأرض، وبأنّ كل الأديان السماوية تدعو إلى السّلام، فالتحية الإسلامية التي يلتقي فيها المسلم مع الآخرين هي (السلام عليكم)، فكأنَّه بذلك يقول للآخر: إن علاقتي معك هي علاقة سلام، بمعنى أني لا يمكن أن أسيء إليك أو أؤذيك أو أحاربك أو أرهبك.

والقرآن الكريم يتحدّث عن أهل الجنة ويصفهم : (**تحيتهم فيها سلام)** سورة يونس 10 . والجنَّة في المصطلح الإسلامي هي دار السلام، والناس في الجنة هم ناس السلام، ولا يمكن أن يسيء أحد إلى أحد، لأنهم يعيشون السلام بين يدي اللّه. وفي بعض النصوص الإسلامية، أن اللّه هو السلام، وهو الذي يجسِّد السلام، وإنّ أحد أسماء اللّه الحسنى التي يتداولها المسلمون هو السلام، وإن السلام على الأرض ينطلق من خلال احترام الإنسان للإنسان، وهذا هو الذي نسميه العدل؛ أن يكون لكل إنسان الحق في أن يعيش ويحيا، وأن يمارس كل طاقاته في الخير، وأن لا يحرم إنساناً حقه في الحياة وفي الحرية.

لذلك، نحن مسلمون ومسيحيون نؤمن بالسلام مع العدل؛ أن يعيش العالم السلام، وأن يأخذ كل إنسان حقه في الحياة وفي الحرية، وحسب الآيةً القرآنية فإنّ

كلّ الرسالات وكل الرسل الذين أرسلهم الله تعالى، وكل الكتب المقدسة التي أنزلها الله، إنما كانت من أجل أن يقوم الناس بالعدل، ومن أجل أن يحلّ السلام، وعندما نجد حكاماً في الغرب لا يمارسون إحلال السلام على الأرض فأولئك يناقضون عقائد شعوبهم المسيحية والمسلمة ويخالفون تعاليم القرآن والإنجيل والتوراة. وبمخالفة أولئك الحكّام لرغبات وعقائد شعوبهم يصبح من الواجب أن نقوم بالفصل ما بين أولئك الحكّام وشعوبهم، وبالتالي أن نؤكّد على تحاورنا مع الشعوب المسيحية، وأن نجرّد المسيحية من الأخطاء والأعمال والعدوان الذي يرتكبه أولئك الحكّام باسمها.

فليست المسيحية هي التي غزت واحتلّت العراق وأفغانستان، بل إنّ الذين يغزون بلدان المسلمين ويمارسون الإبادة على شعوبها هم حكّام مستبدون متصهينون.

التصادم بين الحضارتين

يرى بعض المفكرين والمنظّرين الإسلاميين بأن التصادم بين الإسلام والمسيحية الغربية أمر حتمي لا مفر منه، وهؤلاء يقومون بتعميق الكراهية والفراق بين هاتين المنظومتين. بل ويقوم بعضهم بتحضير الرأي العام الإسلامي لخوض تلك المواجهة. ويقول الدكتور محمد عمارة: (**الصراع بين الغرب والشرق واقع وقديم**) **(في الغرب ينشرون ثقافة الكراهية السوداء ضد الإسلام والمسلمين)** ويسود هذا الرأي في المجتمعات العربية الإسلامية، كما ونلاحظ انتشاره في بلدان إسلامية أخرى كماليزيا وأندونيسيا وباكستان.

وفي الوقت نفسه، نكتشف في الغرب المسيحي نفسه استعداداً كبيراً ورغبة عارمة للتحاور مع الإسلام والمسلمين. إذ لابد من الفصل بين الشعوب وبين حكامها، فحكّام الغرب يخوضون صراعات مع الإسلام لأنهم يتحركون ضمن منظومة صهيونية، وهذه المنظومة لا تلقى تأييداً في الشارع الأوروبي كله. كما يلاحظ في الغرب اهتمام كبير في التعرف على الإسلام، ودراسته ودراسة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية. وإقبالاً على اعتناق الإسلام كدين سماوي

وتوحيدي وحضاري. وبناء على تلك المعطيات يرى الباحثون الغربيون بأن لا صدام بين الحضارتين على الإطلاق، وأن المستقبل سيشهد حواراً متطوراً وتفاهماً أوسع بينهما.

صحيح أن الغرب كله يبحث اليوم عن الإسلام، ففي الأسبوع الذي تلى هجمات أيلول 2001 بيعت هناك ملايين من نسخ الكتب التي تعرّف بالإسلام وتتحدث عنه. وكان ذلك تعبيراً عن الذهول الكبير الذي أصاب أبناء الغرب، وسعياً لإيجاد أجوبة عن الأسئلة الكثيرة التي طرحها كل المواطنين هناك. ترى ما هو هذا الإسلام الذي يجعل أشخاصاً أثرياء يعيشون في جبال أفغانستان ؟. ما هو الإسلام الذي يجعل أشخاصاً متمدنين يعيشون بيننا ويبدعون في دراسة الطيران ويقدرون على اجراء دراسات هندسية وعلمية عديدة لهذه الأبراج ثم يدمرونها في ساعة واحدة ؟. ولأن الكتاب الأول الذي يقرؤه الغربي لن يعطيه الجواب الكامل عن الإسلام. فإنه سيقرأ الكتاب الثاني ثم الثالث ثم عشرات الكتب وتلك في النهاية ستوصله إلى اعتناق الإسلام. كما نلاحظ في الفترة الأخيرة كثرة السياسيين الغربيين الناطقين باللغة العربية. ويقول ليفلي ماك أوخلاند، وهو أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة إيكس سيتر اللندنية: "**.. نلاحظ إقبالاً بريطانياً شديداً ومتزايداً على دراسة الإسلام وتاريخه، ونلاحظ اهتماماً جاداً بالدين الإسلامي والحضارة الإسلامية. والبريطانيون يدركون بأن القاعدة لا تمثّل المسلمين جميعاً. ونحن في هذا القسم توجّه إلينا باستمرار دعوات من كافة المناطق البريطانية لنحاضر فيها ولنعرفهم على الإسلام وعلى أركانه وعقائده، وعلى التاريخ الإسلامي. وهذه الدعوات أصبحت شبه أسبوعية. ورغم أحداث الهجوم على قطارات لندن فقد ظلّ هذا الاهتمام قائماً، ولم يتأثّر بها...**" وتتميز دراسة الإسلام بأنها كشراب البلسم الشافي، فمن بدأ يتعرف عليه يطلب المزيد من علومه، وكلما تعمّق في التعرف عليه كلما ازدادت قناعته به. ولن تؤدي دراسة الإسلام إلاّ إلى الإيمان به واعتناقه كدين. فإنّ أكثر المستشرقين الأوائل الذين بدؤوا بالتعرف على

الإسلام اعتنقوه في نهاية المطاف.

موجة حوار الحضارات

بعد انتشار نظرية "صراع الحضارات، طرح المسلمون فكرة حوار الحضارات، وظهرت موجة "حوار الحضارات" منطلقة من روح الإسلام التي تدعو الى الحوار الحضاري، ومن توجيهات القرآن الكريم للمسلمين.

وبشكل رسمي تبنى الرئيس الإيراني رسمياً مبدأ حوار الحضارات وبدأ العمل به في إطار الديبلوماسية الإيرانية، وتجاوب المسلمون والغرب معه. ثم وفي تشرين الثاني 2007 ولأول مرة اجتمع العاهل السعودي مع بابا الفاتيكان وكانت تلك مبادرة جريئة في النهج الحواري المثمر.

هذه الموجة بحاجة اليوم الى تأصيل نظري ومنهجة عملية، كي لا يقع المسلمون في مطبات وهم يواجهون حضارة لها بريقها وسلطانها. ولكي لا يدخلون في مشروع لا يعرفون أشواطه ونهايته.

لا يمكن الانعزال والانغلاق أمام العالم الآخر، ولكن كيف نتعامل معه؟ وكيف ندخل معه في حوار متكافئ؟ وكيف ننفتح مع المحافظة على هويتنا وكرامتنا؟

هناك من يدعو إلى الحوار مع الغرب مندفعاً بروح الهزيمة والضعف، وهناك من يدعو إليه بثقة الإنسان المؤمن بعقيدته ورسالته وهويته.

إنّ وحدة الأمة الإسلامية، وضرورة ارتكازها على الإسلام كنظام للحياة، وضرورة بناء الآلة الدولية الإسلامية، هذه شروط موجبة لتطوير حوار الحضارات.

المبادئ المشتركة بين الإسلام والمسيحية

إن هناك مبادئَ يؤمن بها الطرفان الإسلامي والمسيحي ولابد من استقصائها

أولاً. وإذا اتضحت هذه المبادئ، يمكن أن يدخل الطرفان في حوار مثمر ومفيد. ومن هذه المبادئ:

الإيمان باللّه تعالى، وباللّه الواحد (هم يحاولون أن يجعلوا مسألة التثليث منسجمة مع فكرة الإله الواحد).

ونؤمن معهم أيضاً بوجود قيم إنسانية أخلاقية يدعو إليها الدين. وهناك قيم اجتماعية نتفق معهم عليها، مثل قيمة الخلية العائلية في البناء الاجتماعي المتكامل، ومثل قيمة الرحمة للفقراء والمساكين والمعوزين. هذه أمور نتفق عليها، وحينئذ يجب أن نتحاور في هذه الأطر وفي مثيلاتها، ثم نتطور في الحوار وندخل في مواضيع مهمة أخرى.

ومن الطبيعي جداً أنّ هناك مشتركات كبيرة جداً في الحياة. هذه المشتركات يجب أن تتحدّد وتتضح في ذهن المتحاورين.

حوار الشعوب

يدعو الإسلام إلى حوار الشعوب بعضها مع بعض رغم تنوّع حضاراتها، فالحوار هو الذي يمكن أن تلتقي فيه الشعوب بعضها مع بعض، إذ يصبح في إمكان هذه الشعوب أن تفهم بعضها بعضاً من خلال الحوار، فيؤدّي ذلك إلى أن تلتقي على القضايا المشتركة. وفي القرآن الكريم آيات عديدة تصف الشعوب الأخرى وتروي أخبارها وتدعو المسلم لتفهم شؤونها والحوار معها والاستفادة منها.

المسيح عامل في بناء المحبّة والسلام

يُنقل عن السيد المسيح **قوله إنّ اللّه محبة**، ويقول الحديث النبوي : «الخلق عيال اللّه، وأحبّهم إلى اللّه أنفعهم لعياله» وقوله عليه السلام: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" فإذا كنّا نحن نحبّ الحرية لأنفسنا، فعلينا أن نحبَّها لكلّ الشعوب، وإذا كنّا نكره أن نُمنَع حقوقنا، فإنّنا نكره ذلك لكلّ الشعوب.

علينا أن نلتقي على محبَّة اللّه، ومن خلال محبة اللّه ننفتح على الإنجيل

والقرآن، فنحن نعتبر أن الإنجيل كتاب الله المقدّس، كما أنّ القرآن كتاب الله المقدس، ونحن نتعلم من الإنجيل كما نتعلم من القرآن، لأنّ الإنجيل والقرآن كلمة، وعلينا أن نتعلم من كلمات الله. نحن نؤمن بالسيد المسيح بأنه روح الله وكلمته، وهو الذي يحبه الله، كما يؤمن المسيحيون بذلك، وإذا كان هناك اختلاف في الجانب اللاهوتي الآخر، إلاّ أنّنا لا نختلف على السيد المسيح باعتبار أنه المسيح الإنسان.

اختلاف في اللاهوت واتفاق في المحبّة الإنسانية

على الرّغم من أنّ المسلمين يختلفون في اللاهوت مع المسيحية، إلاّ أنّ المسلمين يعتقدون بأن المسيحية والإسلام يلتقيان في القيم الإنسانية الأخلاقية الروحية، فنحن جميعاً نعبد الله الواحد، ونحن جميعاً نعتقد أن الإنسان لا بد من أن يعيش مع الإنسان في وحدة إنسانية، وأن لا يكون الإنسان رباً مستعلياً على الإنسان الآخر، وأن السيد المسيح والنبي محمد يلتقيان في المحبة، فالنبي محمد(ص) يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحب لنفسه»، فهو يربط الإيمان بالمحبة، والسيد المسيح أيضاً يؤكّد المحبة. ولكن أساليب المحبة في العالم تختلف، فمحبتنا للإنسان الذي يريد أن يضطهد أو يقتل الإنسان الآخر، تفرض علينا أن نمنعه من ذلك لنعيده إلى إنسانيته من خلال احترامه للإنسان الآخر، والسيد المسيح أرادنا أن نتعاون، فنفجّر طاقاتنا لخدمة الإنسان، وأن نتواصل، فلا يبتعد الإنسان عن الإنسان، حتى لا يُساء فهم بعضنا لبعضنا الآخر، وأن نتكامل، فيعطي كل واحد منا للإنسان الآخر ما ينقصه، لتتحرّك الطاقات كلّها في خدمة الإنسانية. وبذلك يلتقي المسلم مع المسيحي بين يدي الله على أساس احترام إنسانية الإنسان في القيم الروحية والأخلاقية للإنسان.

أن تكون مسلماً، أو أن تكون مسيحياً، يعني أن تكون إنساناً، أن نلتقي بالإنسانية التي تنفتح على الله وتنفتح على الإنسان. وإذا كان السيد المسيح(ع) في عهده قد استخدم أساليب معيّنة مع الرّومان، فذلك يعود إلى الظّروف التي عاشها الرومان آنذاك، وخصوصية نمط الحكم القائم وسمات ذلك المجتمع في تنوعاته، وقد كانت طريقتهم في العدوان على المستضعفين تأخذ حدوداً معينة، أما المستكبرون اليوم، فإنّهم يملكون القنابل الذرّية وأسلحة الدمار الشامل، ويملكون مصادرة ثروات الشعوب. ولذلك لا بد من أن نأخذ من روح السيد

المسيح(ع) لنعرف كيف نمنعهم من ذلك بالوسائل التي تسقطهم أمام شعوبهم. وقد نكون بحاجة إلى عمليات جراحية للذين يريدون اضطهاد الإنسان ومصادرته، فنحن نحبّهم، ولأنّنا نحبّهم نقاومهم، وبكلّ محبة، ننقذ الإنسان الطيب من الإنسان الشرير.

العنصرية الغربية المعادية للمسلمين

يكمن التهديد القوي الوحيد للمسلمين الأوروبيين في احتمال سيطرة الأحزاب العنصرية على الحكومات وقيامها بإبعاد المسلمين طرداً أو التخلص منهم إبادة. ويرى المحللين الغربيين أن تلك الأحزاب تعارض بقوة تزايد الهجرة والمهاجرين. وقد توالدت هذه المعارضة في العديد من الدول الأوروبية واستطاعت أن تفرض" ليس فقط مراقبة صارمة وفعالة على الحدود، بل بطرد المهاجرين الذين لم تسوّ وضعياتهم القانونية بعد. إن حركة ضد الهجرة آخذة في التشكل أمام أعيننا، وبشكل غير محسوس. وإذا كان خطابها لا زال محتشماً" فإن قدراتها هائلة بالفعل. إن العناصر المعادية للهجرة وللإسلام، لها على العموم جذور فاشستية ونازية، ولقد تمكنت مع الزمن من كسب آفاق كبرى، وتجردت من معاداتها للسامية التي رافقتها في جذورها ومن نظرياتها الاقتصادية المريبة لتركز كل اهتمامها على المسائل العقدية، والديمغرافية، والهوياتية، وعلى دراسة الإسلام والمسلمين. وإن "الحزب الوطني البريطاني" وكذلك الـ "فلامس بيلانغ البلجيكي" يعدّان نموذجين يتطوران بقوة تجاه فرض قوتهم الانتخابية. بل إن السباق نحو الرئاسة الفرنسية قد تلخص سنة 2002 في منافسة مفتوحة بين جاك شيراك" والفاشي الجديد "جون-ماري لوبين الذي يعلن عداءه للعرب والمسلمين. ثمّ إن فوز ساراكوزي بالرئاسة الفرنسية 2007 جاء نتيجة تصريحاته المعادية للعرب والمسلمين. وما إن دخل قصر الإليزيه حتى بدأ بسنّ القوانين التي تسمح بتهجير ذوي الأصول الإسلامية عن فرنسا.

وهناك أحزاب أخرى من هذه الطينة سبق لها بالفعل أن وصلت إلى الحكم. مثل "جورج هايدر" وحزبه "فراي هيتليتش" بالنمسا وقد حكموا لفترة قصيرة. وهناك عصبة الشمال الإيطالية التي ظلت لمدة طويلة من مكونات التحالف الحاكم. فهذه الأحزاب يتنبأ لها بعض المحللين بالاتساع والتقدم وبالقدرة على الاستيلاء على السلطة لأن خطابها المعادي للإسلاميين، وفي غالب الأحيان للإسلام يجد صداه في المجتمعات الأوروبية. وأحزاب التيارات المهيمنة سوف يكون عليها أن

تتبنى ولو جزئياً هذه الأحزاب العنصرية (كمثال على ذلك الحزب المحافظ في الدانمارك" الذي تمكن من العودة إلى الحكم - بعد 72 سنة قضاها على هامش الحياة السياسية- أساساً بسبب السخط الذي تسببه الهجرة لدى هذه الشعوب). وهذه الأحزاب سوف تستفيد بكل تأكيد من الوضع عندما تتضخم الهجرة أكثر وتصل إلى نسب مرتفعة في أوروبا مع ما يحتمله ذلك من هجرات مكتفة قادمة من إفريقيا، كما تشير إلى ذلك العديد من المؤشرات.

لكن من الإنصاف أن نتحدّث عن تراجع نفوذ هذه الأحزاب وتضاؤل مؤيدوها في أوروبا. فالحزب الفاشي الفرنسي الذي يتزعمه جان ماري لو بين لم يحز إلا على أصوات ضئيلة للغاية في انتخابات فرنسا 2007 .

لكنّ مؤيدو تلك الفكرة يذهبون بعيداً في تصوراتهم لمأساة المسلمين القادمة على حدّ تعبيرهم ، فيقول رالف بيتيريس: إنه بمجرد وصول تلك الأحزاب الفاشية إلى السلطة سوف تلغي هذه الأحزاب الوطنية، التعددية الثقافية، وسوف تعمل على إعادة نشر وتكريس القيم والتقاليد الأوروبية.

ولا يسعنا إلا أن نخمن حول الوسائل التي سوف يستعملونها وحول رد فعل المسلمين. يقف "رالف بيتيرس" طويلاً عند المظاهر الفاشية والعنيفة لبعض الفرق ويتوقع أن تكتسي ردود الفعل المعادية للإسلام والمسلمين أشكالاً تتسم بالتهديد. بل هو حتى يرسم سيناريو تُرى فيه "بواخر أمريكية وقد رست في الموانئ الأوروبية، والمارينز وقد نزلوا إلى الأرض في سواحل مدينة بريست الفرنسية ، أو بريميرهافن الهولاندية، أو باري الإيطالية من أجل تأمين إجلاء المسلمين من أوروبا في أحسن الظروف. ويتوقع آخرون بأن مواجهات طاحنة ستقوم في الغرب وسيسعى أبناء الغرب لإبادة المسلمين هناك ومحو الإسلام عن أوروبا كلها. ولتجنب مثل تلك الأحداث لابد من التدخل العربي والإسلامي منذ الآن والسعي للتعريف بقضايا شعوبنا وبديننا السماوي المتسامح وبمحبتنا للبشر وبرسالتنا للإنسانية كلها.